فى المدارس تسبى أحياناً استعمالها وقلما تستمر فيها إذا شغلتها الحياة وتقدم بها الزمن . ولذلك لا تعجب إذا رأيت أجسام الخريجين عندنا غير رياضية ، وإذا وجدت من الخريجين تقصيراً هائلاً فى أوليات الرياضة البدنية اليومية وفى كل مابقى الجسم غائلة الأمراض ويحفظ عليه مناعته الطبيعية ! وها أنت ترى أن الطلبة موبوئين بالعادات السرية ، وأن الخريجين مسرفين فى النواحى الشهوية عزاباً كانوا أو متزوجين ! وها أنت ترى أن طلبة المعاهد الدينية محرومين أو شبه محرومين من التربية الرياضية إلى حد عجيب كأن الدين لا يقر الرياضة ولا يعرفها ! وأن المدارس الأهلية كثيرة التقصير فى هذه الناحيـة إلى حد شديد ! ثم ها أنت ترى أن قليلاً منا من يدقق فى اختيار الغذاء اللازم لجسده ، ومن يعنى بتعرف حالته البدنية كل عام حتى يعد العدة لاتقاء الخطر ، وأن أقل القليل من ينامون مبكرين ويستيقظون مبكرين ولا يأكلون حتى يجوعوا فإذا أكلوا لم يشبعوا ... ! ثم ها أنت ترى أن الكهولة والشيخوخة يزحفان على شبابنا بسرعة عجيبة ، وأن الكثير من خريجينا يتناول الخمر إلى جانب التدخين فى سهولة ويسر ... !

فهل ترى بعد هذا أن مدارسنا قد نجحت فى تكوين « الشخصية الكاملة » المنشودة ، ذات العقل المنطق المستقل ، والعاطفة النبيلة المشبوبة ، والجسم السليم القوى ؟

« يتبع » محمد عبد ظاظا

تحت الطبع :

حيـــاة الرافعى

للأستاذ محمد سعيد العريان

الاشتراك فيه قبل الطبع ١٠ قروش تدفع إلى إدارة الرسالة ، أو إلى المؤلف بعنوانه :

شبرا مصر . شارع مسرة رقم ٦

ثمن الكتاب بعد الطبع ١٥ قرشاً

بين الشرق والغـــرب

للأستاذ فليكس فارس

تتمة ما نشر فى العدد الماضى

يقول المناظر الكريم إنه كان يتمنى لو اتسع المجال لديه ليشرح لكم الثقافة الغربية والذهنية الآرية . فهو لم يزل يأخذ بالنظرية التى جاء الاستقراء العلمى واضحاً جداً لتبجح الآريين بها

وما تلك النظرية إلا توهم اتخذ به نحو جبنو وأشياعه إذ قالوا بتفوق السلالة الآرية على سائر سلالات الأرض لتفرّدهم بشكل خاص فى جماجمهم، وبنوع خاص فى شعرهم، وبلون فارق فى جلودهم، فادعوا أن هـذا الشكل دون سواه من بنى الانسان يملك صفاء الذهن وقوة الاختراع والعبقرية بأنواعها . غير أن الاستقراء قد اضطر دهاقنة علماء — الأحياء — إلى الاعتراف بفساد هذه النظرية بعد أن رأوا أن الجماجم التى ينطح بها الآريون السحاب إنما يحمل مثلها تماماً أقزام أفريقيا الوسطى ، وأن شعورهم وجلودهم وسائر مميزاتهم الجسدية يتمتع بها كثير من القبائل والشعوب المنتشرة على وجه الأرض ...

ثم يقول المناظر لنا أننا إذا ما أخذنا بما اكتشفه الغرب من علم يمكننا التحكم بمقدراتنا فإننا نستطيع أن نغير عقليتنا لنقتبس طرائف الغرب التى توصلنا إلى خير النتائج

ولماذا يجب أن تعمل الشعوب العربية على تغيير عقليتها وإنكار فطرتها وحوافزها التى تكونت من أعظم حوادث التاريخ طوال ألوف السنين مادامت هذه العقلية نفسها قد أثارت الدنيا بعلومها وآدابها واكتسحت الغرب كله بروحانيتها وشرائعها ؟

ولقد أورد المناظر استفهاماً إنكارياً بقوله ومتى أصلحت روحانية الشرق النفوس مادام العالم هو هو لم يتغير بشروره ؟

ونحن نقول له إن روحانية الشرق هى التى أسقطت ألوف الآلهة فى الغرب عن عروشها ، وأن الشعوب الآرية بدون استثناء أى عنصر منها إنما اهتدت إلى الحق والجمال فى منشأ حضاراتها بتفكير الشرق ووحيه وإلهامه

فاذا نحن رجعنا بالذكر إلى حضارة أوربا الوثنية التى بنيت

على خرافات الأساطير لا يسعنا بعد ذلك أن ننكر الواقع ونقول بأن الانسان كان سيهتدي دون أن يهدى

أما ما قاله الدكتور بانزوفيل للمناظر مصرحاً له « بأنهم سيصلحون بالعلم من البشر ما عجزت الأديان عن إصلاحه منذ ألوف السنين » فقول يطرح على بساط البحث مسألة خطيرة لا نرى بدأ من إلقاء نور المنطق السامي عليها .

إن العقلية الآرية المعززة بالعلم والثقافة العالية ستقطع دابر الاجرام بوسيلة علمية هي تعقيم المجرمين .

وأنا أحد أبناء هذه الأمة العربية التي يدعي الآريون قصورها في ميدان التفكير ، أنا على ما أنا عليه من ضيق الاطلاع وفي قومي من رجال العلم من لا يُشق لهم غبار ، أستنير بعقليتي السامية وبإيماني في العربي المكين فأقول لعلماء الغرب لقد ضللتم وأقول بخاصة إلى الدكتور بانزوفيل إنه مغرور بعلمه وإنه لا يداوي من العلة إلا أعراضها

إن الغرب يرى تكاثر عدد المجانين والبلهاء والمجرمين في شعوبه فلا يبحث عن منشأ العلة ليداويها بل يعمد إلى تعقيم ضحايا مدنيته وثقافته ظناً منه أن هناك بعضاً من الأسر المصابة بداء وراثي وإنه إذا قضي على تناسلها خنقت العلة في منشأها !

ويلٌ لهم ! إنهم إذا استمروا على هذه المعالجة فانهم سيعقمون ثم يستأنفون التعقيم إلى أن يقضوا على النسل بحجة تحسينه

إن للأجرام وللجنون وللبله جراثيم لم تتولد أصلاً من الأرحام.

ليفتشوا على هذا الجراثيم فانني أراها بين الخيال الشرقي والالهام العربي مكبرة كالثعابين تتململ في المراقص وفي الحانات وفي المواخير التي أراها تكتسح هذه المعامل التي فتحت فيها الآلات أسواق النخاسة الفاتلة ، أراها في كل مكان لا تسود عقليته الرحمة الموحاة من السماء ، بل أراها حتى على فراش الزواج الذي أصبح تجارة وشركة بين أنانيتين .

ليعقموا ما شاءوا من المجانين والمجرمين ، فإن هذه الحضارة التي أقامت العجل الذهبي لها إلهاً ستقذف للدكتور بانزويل وإخوانه بألوف من الزبائن لا ينتهي عددهم حتى ترجع مدنية الغرب إلى عقلية الشرق وثقافته

أما فرويد فنظريته صحيحة في هذه الأمراض النفسية التي تفتك فتكا ذريعاً في أبناء المدنية الغربية ، وما كانت مثل هذه الأمراض لتعيب أبناء بلادنا في العصور الماضية إلا في القليل النادر لأن الذهنية الشرقية لم تحارب الغريزة الجنسية بل اعتبرتها جزءاً من إيمانها . وما التبتل إلا بدعة طرأت على تعاليم عيسى فاحتضنها الغرب وجعلها على ما هي والشرق منها براء ، وهذه شريعة النبي الكريم قد أتت بما لا حاجة لنا معه بمنظار الذهنية الغربية الذي كشف للعالم كما يقول المناظر إن الحياة الجنسية نور الحياة . وإنني لواثق من أن مثل هذه الأمراض النفسية التي تنشأ من كبت الغرائز لا يمكنها أن تصيب مؤمناً عربياً يعمل بشريعته لأن الدين دين الفطرة قد أنزل لتنظيم قوى الحياة لا لقتلها

وأخيراً أراد المناظر الكريم أن يثبت لنا أن الموسيقى الغربية خير من موسيقى الشرق وحجته العلمية في ذلك أن الغناء العربي إنما هو هتاف بصوت واحد في حين أن الغناء الأفرنجي غني بما فيه من طباق بين عدة أصوات

ونحن إذا ما صرفنا النظر عن الغرائز المستقرة في العقل الباطني والتي يصدر عنها الفني الخاص بكل أمة وبحثنا الموسيقى من وجهة علمية استقرائية نجد أن الموسيقى العربية أصدق تعبيراً للطبيعة وأدق تصويراً للمشاعر بعديد نغماتها في الصوت المنفرد فان الموسيقى العربية تمثل في نغماتها السبع الأساسية ألوان الطيف يتفرع منها ما يزيد على السبعين نغمة تخضع مرنة ناعمة للعاطفة فتظهر خفاياها كصورة اختطفت عن الأصل جميع أنوارها وأظلالها. أما العروسان الغربية التي تسجن الصوت في مقام ونصف مقام أعلى وأدنى ، ولا تستوعب ربع الصوت وتعنه بل و ١٦/١ منه B تتناوله الموسيقة العربية إنما هي أشبه بالفرشاة الخشنة في يد رسام لا يمكنه أن يصور من المرئيات غير خطوطها الأولية .

إن الموسيقى الغربية رست على الطباق أو المطاوعة فكان لابد لها من كبت النبرات الدقيقة المتمردة على الطباق ومن الاكتفاء بنغمات ممدودات هي محل ثروتها . أما الموسيقى العربية فانها هتاف عميق من النفس منفردة تجاه الوحدة المتجلية في مسلمات الشرق ديناً وفناً. فهي وإن نقصها الطباق لعدم ملاءمته لحريتها ودقة نبراتها لا تزال حتى في دور انحطاطها اليوم، أغنى بأوزانها ونغماتها من الموسيقى الغربية الفنية بالصخب والفقيرة بالتنوع المنفرد !

إما أن تكون موسيقى الطبيعة أشبه بالموسيقى الغربية كما يقول المناظر فذلك ما لا نوافقه عليه ولبس في الطبيعة أجواق تتوافق على الهتاف بنشيد يطربك فانك إذا ما أصغيت إلى بلبل

واستسلمت نبراته المتناسقة الصافية وهو منفرد يذهب إنشاده إلى أغوار مشاعرك فتشاركه بما يلهمه النشر من شعر حنينه كلمات وتلاعبه معانى لايدركها إلا المستغرق المطل على وحدة الوجود . ولكنك إذا وضعت عشرين بلبلا أو عشرين مداحاً من أنواع الأطيار وأطلقوا جميعهم أصواتهم فعندئذ تدرك أن الطباق ليس من روح الطبيعة بل هو من أوضاع فنانى الغرب الذين لم يهتدوا إلى الوحدة المليئة بالتنوع فاخترعوا لهم موسيقى مبنية على المطاوعة ليسدوا مجاعة إنشادهم المركب الفقير

وما أطول ما أقوله عن جهل للموسيقى الغربية فانى قد ألفتها منذ كنت طفلا وقد ألفت أناملى طويلا استنطاق أوتار عودى العربى فأنا أفهم الأنغام التى قسمها الفارابي كما أفهم موسيقى موزار وبيتهوفن بل وموسيقى باخ أيضاً . ويمكنني أن أؤكد لكم أن الفن الغربي على ما بذل فيه من جهود لا يرتكز على أساس من الموسيقى الطبيعية التى تتجلى بكل روعتها فى الانشاد العربى المنفرد. ولو أن رجال الفن عندنا أدركوا هذه الحقيقة وانصرفوا إلى شرقية موسيقانا على أساسها دون أن يستهويهم ما يتوهمونه رائعاً فى الموسيقى الغربية لكانوا ينتزعون من الطبيعة أروع موسيقاها ولكن أكثرهم كمن لديه ثروة يطبق خزانته عليها ليذهب مستجدياً من الغريب كسرات تتخمه ولا تسد جوعه

لعلنى بعد هـذا البيان الموجز تمكنت من إقناع مناظري الكريم

أولاً : إن العرب عند ما رقوا العلوم ونشروها وأوجدوا أممها ، إنما عملوا بعقليتهم الشرقية العربية . وإننا لسنا بحاجة لتقليد الغربيين فى أسلوب تفكيرهم لنجاريهم فى مضمار العلوم . ومن العرب اليوم فى أوربا وأميركا ومصر وسائر الأقطار العربية علماء فى كل فن يفتخر العالم بأسره غربه وشرقه بسعة اطلاعهم وعبقريتهم وما بلغ هؤلاء الأعلام مقامهم إلا بعقليتهم العربية

ثانياً : إن العلوم الوضعية مشاع بين البشر جميعهم فليس على الأرض سلالة خصها الله بالعلم دون سواها

ثالثاً : إن لكل شعب ، فطرته وهي ميزة خاصة فى الذوق واختصاص فى فهم الحياة والتمتع بها ، وإن كل أمة تستبدل ثقافة غريبة بثقافتها إنما تؤلم فطرتها وتميت شخصيتها

رابعاً : إن الأخذ بالعلم عن أى شعب لايستلزم مطلقاً اقتباس طرق حياته فى الأسرة والمجتمع وتقليد ذوقه وسكناته وحركاته فان العرب عند ما احتضنوا العلوم الاستقراطية عن اليونان لم يأخذوا الفطرة اليونانية ولا ذوقها ولا معتقداتها كما أن أوروبا عند ما تلقت هذه العلوم عن العرب لم تتعرب بل بقى فيها كل شعب محتفظاً بثقافته . هذا فضلاً عن أن فى الغرب ثقافات قد يراها من يحدجها من بعيد على شيء من التقارب غير أن من يدرسها عن كثب ليدهشه ما بينها من فروق تتناول صميم الذوق والعقيدة والشعور ، فأى هذه الثقافات يشار على الشرق بأن يتبع وهل يظن المناظر الكريم أن تجربة التقليد شيء جديد لم يتضح لنا زيفه بعد . أفلا نرى فى كل بلد من هذا الشرق العربى عدداً من المتفرنسين والمتألمنين والمتأكلزين والمتروسين الخ خرجوا عن الثقافة العربية وامتنع عليهم أن يتصفوا بالثقافات التي استهوتهم فأصبحوا لا الغرب يعرفهم ولا الشرق يعترف بانتمائهم إليه . وهنالك ظاهرة غريبة نشأت من هذا التقليد وهى الثمرة التي استحكمت بين هؤلاء المقلدين وهم أبناء البلد الواحد ؛ فانك لن تجد متفرنساً يمكنه الاتفاق مع متألمن أو سواه من المستغربين

كل إنسان يجبن أمام الحوادث فى حياته فيلين لها حوافزه وفطرته إنما هو شخصية تائهة فقدت ذاتها ، إنما هو الشبح الباكى ، والحى المستجيب ؛ ولقد تلمع إحداق مثل هذا الانسان بالظفر والمجد ، ولكن أنوار السعادة تبقى منطفئة فى عينيه ، ونحن كأمة لا قبل لنا بأن نتحكم فى هذا الناموس الثابت لأن فطرتنا مقدورة علينا كامنة فينا ؛ كل أمة تحيا على غير ما تسوقها فطرتها إليها فهى أمة باكية بدموع صامتة ، هى أمة مستضعفة مستعبدة لا معنى لحياتها ولا سعادة لها فيها

إن شعوب الشرق العربى مسؤولة أمام تاريخها بالمحافظة على ثقافتها وإحيائها والأخذ بما وضع لها وحى أنبيائها وإلهام عباقرتها لتجديد حضارتها ، وإن كانت مدنية الغرب الحديثة ؛ ترى أن الارتقاء يقوم على العلم وحده ، على الاستقراء دون الاستلهام فان للشرق العربى المستحفز للوثوب دستوراً يتضمن الحكمة علمته وفى العمل بها العظمة الحقيقية لكل إنسان ولكل شعب وهى:

اعمل لآخرتك كأنك تموت غداً ، واعمل لدنياك كأنك لا تموت أبداً

فليكس فارس